

بيتر سلوترديك الأنثروتنقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة

أمانى أبو رحمة
باحثة فلسطينية



قسم العلوم الإنسانية والفلسفة

ملخص الدراسة:

توازن فلسفة بيتر سلوترديك بين الأكاديمية الصارمة ونوع من التعبيرات المناهضة للمعايير الأكاديمية، والتي تجلت في اهتمامه ومتابعته لأفكار أوشو Osho الذي كان أستاذه وأخر السبعينيات. ولا يؤمن سلوترديك بوجود الثنائيات: الجسم والروح، والذات والموضوع، والثقافة والطبيعة، وما إلى ذلك، لأن تفاعلاتها أو مساحات التعايش بينها والتقدم التكنولوجي قد خلقا ما يمكن أن يطلق عليه الواقع الهجين.

ويرى سلوترديك أن ثقافة ما لا تحمل مفردات كاملة عن نفسها، وتؤكد لعبة الكلمات الحالية على تحديد موضوعات وترك أخرى دون معالجة، وهذا ينطبق على مفردات النظرية في أواخر القرن العشرين. ويمكن للمرء، في العقود الماضية، أن يتكلم بشكل متقن، ومع فارق بسيط، عن كل ما يتعلق بالتركيب الزمني في العالم الحديث. كان يعتقد بأن قضايا المكان قديمة ومحافضة، وتهم الرجال من الطراز القديم والإمبرياليين، حتى الفصول الساحرة عن الفضاء، أي المكان، التي كتبها دولوز وغواتاري في ألف هضبة لم تغير الوضع، لأنهما كانا سابقين على عصر مولع بعبادة الزمن. وينطبق الأمر نفسه على مقترحات فوكو المتأخرة، الذي يرى أننا ندخل مرة أخرى عصر الفضاء، أي المكان، الذي لم يكن لنا أن ندخله في تلك الفترة حتى لو انتقالياً. إن إنتاج خريطة السكنى الجديدة يجب أن ينظر إليه بوصفه جزء من ميل أوسع، وهو فردنة الاستهلاك الذي تواصل على قدم وساق منذ السبعينيات. وثمة عملية تاريخية مهمة تجري منذ ذلك التاريخ، وأن التعجيل في عملية الفردنة "الشاملة" قد دعم شكلاً جديداً من أشكال الفردانية النفسية وتقرير المصير.

ولد الفيلسوف الألماني بيتر سلوترديك عام 1947، ودرس الفلسفة واللغة الألمانية والتاريخ في جامعة ميونيخ وجامعة هامبورغ من عام 1968 وحتى العام 1974. وحصل في عام 1975 على الدكتوراه من جامعة هامبورغ. نشر سلوترديك عددًا من الأعمال الفلسفية المشهودة في ألمانيا، ويعمل حاليًا أستاذًا للفلسفة ونظرية الميديا في جامعة كارلسروه للفنون والتصميم، فضلًا عن مشاركته منذ العام 2002 في تقديم برنامج تلفزيوني شهير بعنوان "في بيت من زجاج: اللجنة الرباعية الفلسفية" الذي تعرضه قناة ZDF الألمانية المكرسة لمناقشة القضايا الفلسفية المعاصرة بصورة معمقة، ولم يغير عمله الأكاديمي الحالي في أسلوبه المبتكر في الكتابة عن بداياته الأولى. ويتفق سلوترديك مع نيته في ضرورة أن يفكر الفلاسفة المعاصرون في القضايا الخطرة، وأن يسمحوا لأنفسهم بالانخراط في التعقيدات المفرطة hyper-complexities، إذ يجب عليهم مقارنة الإنسانية الحالية والعالم من منظور أوسع بيئي وعالمي في أن.⁽¹⁾

وتوازن فلسفة سلوترديك بين الأكاديمية الصارمة ونوع من التعبيرات المناهضة للمعايير الأكاديمية التي تجلت في اهتمامه ومتابعته لأفكار أوشو Osho الذي كان أستاذه وأخر السبعينيات، ويرفض سلوترديك لقب المفكر المثير للجدل polemic thinker، والذي أطلقه عليه منتقدوه الكثر، ويفضل بدلاً منه لقب الحاسم أو القطعي hyperbolic. ولا يؤمن سلوترديك بوجود الثنائيات: الجسم والروح، والذات والموضوع، والثقافة والطبيعة، وما إلى ذلك، لأن تفاعلاتها أو مساحات التعايش بينها "spaces of coexistence" والتقدم التكنولوجي قد خلقا ما يمكن أن يطلق عليه الواقع الهجين.

ويشار إلى أفكار سلوترديك بوصفها ما بعد الإنسانية posthumanism، لأنها تسعى إلى دمج العناصر المختلفة التي فصلت قصرًا، من وجهة نظره، بعضها عن بعض، وبناءً على ذلك، فإنه يقترح إنشاء "الدستور جودي" الذي من شأنه أن يدمج جميع الكائنات: الإنسان والحيوان والنباتات والآلات معًا. لذلك فإن سلوترديك ليس الفيلسوف الذي يفهم الفلسفة بوصفها حب الحقيقة، ذلك أنه ليس معنيًا بالمشكلات الميتافيزيقية والأنطولوجية والإبستمولوجية الكبيرة. إذ يقول: "الموضوعات العظيمة مراوغة وأنصاف حقيقية، تلك الشواهد الجميلة العقيمة المتعالية، الله، والكون، والنظرية، والممارسة، والموضوع، والكائن، والجسم، والروح، والمعنى، والعدم، كلها لا شيء. إنها مجرد أسماء للشباب والغرباء وعلماء الاجتماع ورجال الدين."⁽²⁾ ولا عجب بعد ذلك أن مواضيع فلسفته هي تلك الجوانب من الحياة التي تبدو تافهة.

¹ Book Description for "Neither Sun Nor Death", MIT Press 2011.

² Sloterdijk, Peter "Critique of Cynical Reason" [Minneapolis: University of Minnesota Press, 1987b]. p: xxvi.

حقق سلوترديك كثيرًا من الاستحسان، وقاعدة عريضة من القراء، في الولايات المتحدة خلال ذروة النظرية النقدية مع ترجمة كتابه النقدي "نقد العقل الساخر" Critique of Cynical Reason، 1983، وصدر بالإنجليزية عن مطبعة جامعة مينيسوتا عام 1988، الذي قدم نمطًا متعدد الأوجه للكتابة تشترك فيه الفلسفة والتاريخ والأنثروبولوجيا والخيال والشعر ونظرية الأدب واللغة العامية بحرية، ويشكل هذا المرجع الاستطراذي الفريد نظرة كلية جديدة لدور الفلسفة، التي لا تزال تميز عمله. وحقق الكتاب أكبر مبيعات للكتب الفلسفية باللغة الألمانية منذ الحرب العالمية الثانية، ودشن بذلك سلوترديك بوصفه فيلسوفًا. وترجمت بعض أعمال سلوترديك إلى الإنجليزية، نذكر منها بالإضافة إلى "نقد العقل الساخر": "المفكر على خشبة المسرح: المادية النيتشوية" 1989، و"نظرية فترات ما بعد الحرب: ملاحظات على العلاقات الفرنسية الألمانية منذ عام 1945" 2008، و"الإرهاب من الجو" 2009، و"حماسة الله: المعركة من الديانات التوحيدية الثلاث" 2009، و"دريدا: المصري" 2009، و"الغضب والزمن" 2010، و"لا الشمس ولا الموت" 2011، و"القفاعات: الجزء الأول من ثلاثية الكرات: علم الكرات المجهريّة" 2011.

وبسبب التقلبات التي استقبلت بها النظرية النقدية في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد كان ينظر إلى أعمال سلوترديك بوصفها أفكارًا لا تناسب إلا حقبة الثمانينيات، ولكن يعد سلوترديك في ألمانيا واحدًا من المثقفين البارزين الذي ميز نفسه من خلال دفع حدود المنتدى التقليدي للفيلسوف. وبالتالي تحديد مفهوم الفلسفة ليس فقط من خلال التحول إلى المرحلة الأكاديمية التقليدية وإنما إلى الإعلام الجماهيري. وكانت هذه الخطوة محفوفة بالمخاطر، ذلك أن سعيه هذا قد تسبب في تهميشه في كلا القطاعين. ولكن كانت له محاولة، في تقليد لمدرسة فرانكفورت، لاستعادة قدر أكبر من الأهمية للتفكير النقدي. إذ بالإضافة إلى الأستاذية في أكاديميات فيينا، وكارلسروه، وإنتاجه لكتاب أو كتابين في السنة على مدى العقدين الماضيين، فإن سلوترديك متواجد في وسائل الإعلام في ألمانيا، ويصل إلى جمهور واسع من خلال برنامج الحوار على التلفزيون الألماني، ويحتفظ بملف شعبي ذو صبغة فلسفية، ولا سيما بعد مناظرته مع يورغن هابرماس بشأن أخلاقيات الهندسة الوراثية.

لفت سلوترديك الأنظار إليه بقوة عندما ألقى محاضراته المثيرة للجدل والتي تحمل عنوانًا صادمًا هو "قواعد الحظيرة البشرية: في الرد على مقالة (الإنسانية) لهايدغر" في 20 يوليو 1999 في ندوة مخصصة لمناقشة فلسفة هايدغر، تطرح المقالة، كما جاء في مقدمة النسخة المترجمة إلى الإنجليزية، والتي سنعتمد عليها

في هذه الدراسة،⁽³⁾ تساؤلات أساسية عن الغرض من السياسة والحكم والتكافل المدني، فقد تم إدراك السياسة جزئياً بوصفها ضرورة لـ "ترويض" البشر ليصبحوا مواطنين صالحين، منذ أفلاطون. وهكذا فإن سلوترديك يتبع نيتشه وهايدغر في تصوير الإنسانية، باعتبارها طرفاً في "معركة ثابتة ... بين البهيمية وترويض النزعات"؛ فالبشر "ذئاب" بعضهم مع بعض، ولكن ما الذي يحول الذئاب إلى كلاب ودودة موالية؟ تزعم مقالة الإنسانية أن "قراءة الكتب الجيدة" هي التي "تهدي الوحشية الداخلية"، والكتب العظيمة، و"الرسائل السميكة" من مفكر عظيم إلى آخر، والتي توفر "نموذج الحكمة" الذي يمكّن "الإنسان من رعاية أخيه الإنسان". ولكن الحكماء على ما يرى سلوترديك قد تخلو عنا في الوقت الحاضر، ولم يعد للإنسانية سوى تلك المحفوظات والمؤرشفين، وليس الحكماء أو الإنسانين، الذين يقبلون تلك المحفوظات والرسائل سميكة. وعليه، فإن الإنسانية تسير نحو الأرشفة بخطى ثابتة.

ويحاول سلوترديك في المقالة تطوير تفسير هايدغر للإنسانية باقتراح أنثروبولوجيا تقابلية لا ميتافيزيقية non-metaphysical onto-anthropology، وقبل أن يخوض في تفاصيل اقتراحه وضح سلوترديك كيف يمكن أن تُفهم الإنسانية من خلال ناقلها أو وسيطها medium وتحديدًا الأدب، وتبعاً لذلك فإن هذا الناقل يؤثر على الإنسانية ذاتها، ومن المثير أن نتساءل إن كانت الإنسانية تتشكل بفاعلية بواسطة محتواها، الجوهر الإنساني، أو بسلبية من خلال شكلها، الناقل أو الوسيط. وتبدو المشكلة هنا مشكلة تحولات وانعطافات turns، مشكلة السلبية والإيجابية في الطبيعة البشرية، ولذا فإننا سنقارب أفكار سلوترديك في تاريخ الإنسانية من هذا المنظور، فوفقاً لسلوترديك كانت الإنسانية قد "أسست الصداقة والحب من خلال الاتصالات السلوكية واللاسلكية حين كانت الكتابة هي الناقل الوسيط"، والتي أنشأت نظامنا المعروف للمجتمعات.

لقد كان بإمكان الإنسانية أن تبنى من خلال النتاج الفكري، الأدب على نحو خاص، بوصفه الأساس لمؤسسات مثل دوائر القراءة والمدارس والجامعات والأحزاب والدول، ولذلك يخلص سلوترديك إلى القول: "ومن هنا كانت الأمم البرجوازية منتجات حرفية ويريديية بدرجة معينة."⁽⁴⁾ وبعبارة أخرى فإن ربط فكر الأعضاء في مجتمع ما يكون بواسطة احتياجاتهم الخاصة، الأبجدية هنا أو الكتابة، وقد تمكنت الإنسانية من التأثير على شكل المجتمعات. كما أن الإنسانية بطلبها واحتياجها للتعليم طرحت قضية "الميول البهيمية والترويض"، لأن ناقل الإنسانية وضع الحدود بين البربرية والحضارة من خلال سؤال واحد بسيط: من هو القادر على القراءة والكتابة؟

³ Rules for the Human Zoo: A Response to the Letter on Humanism." Environment and Planning D: Society and Space 27, no. 1 (2009): 12–28

⁴ Ibid.p:14

ولكن اختراع وسائل الإعلام، أضعف تأثير الإنسانية واستبدلها جزئياً بقوة جبارة. لم تعد الصداقات، بعد إدخال الصحف والتلغراف وأجهزة الراديو والتلفزيون، تنشأ عن طريق إرسال الكتب عبر المسافات الطويلة والأجيال، ومن هنا فإن "التراكيب السياسية والاقتصادية الكبيرة" نظمت وفقاً لنماذج أخرى عن تلك التي سادت المجتمع الحرفي، نسبة إلى الحروف. وهكذا، فإن ما يخلص إليه سلوترديك هو أن الإنسانية ليست متصلة تماماً في جوهر البشر، ولكنها تعتمد على درجة معينة من النواقل، الأدب تحديداً، وهذا يعني أن التعليم هو الذي يشكل المجتمع ويربط أعضائه المتعلمين بروابط الصداقة والتكافل، ومع ذلك، فإن هناك سؤال يطرح نفسه، وهو: هل المعايير التي تتكرر هي مجرد نتاج لهذا التكرار؟ لأنه إذا كانت الإنسانية تنتج بالتكرار فقط، فقد يكون هناك خطر من أن تنتج بغض النظر عن محتواها.

ناقش مارتن هايدغر أيضاً هذه الأخطار في رسالته عن الإنسانية التي نشرت عام 1946، والتي لخصها سلوترديك وانتقدها في مقالته، واهتم هايدغر بموضوع الانتقال من ready-to-handness إلى present-at-handness، أو كما يمكن أن نحددها بوصفها التخلص من الأنطولوجية الضمنية في العالم والحياة إلى مفاهيم فينومينولوجية صريحة، حيث تؤمن حقيقة هذه المفاهيم من قبل الكينونة فحسب، ويعد خطر تكرار المفاهيم الإنسانية في أنها تتحلل إلى مجرد نظام من الكينونة المحتجبة، وقد أطلق هايدغر على هذه النظم الأنطولوجيات الميتافيزيقية، وبسبب ذلك رفض هايدغر المسيحية، والماركسية والوجودية، هذه النظم الإنسانية التي لا علاقة لها بالكينونة، بل إنها تخفي السؤال الأصلي من خلال تكرار المفاهيم الميتافيزيقية الأوروبية، مفهوم المنطق الحيواني rational animal⁽⁵⁾. وتعامل هذه النظم الإنسانية البشر بوصفهم أشياء، وبدلاً من أن تكون فضاءً مفتوحاً لقضية الكينونة، وتحت تأثير هذا التشيؤ، دعمت الإنسانية كل القسوة التي كانت ترتكب باسم الطبيعة البشرية، ولذلك كانت جميع أنواع الإنسانية، بالنسبة لهايدغر، مجرد تاريخ من الذاتية الميتافيزيقية، ولذلك جرى إنكارها. وتحدث سلوترديك عن رفض هايدغر لهذه الإجابات الميتافيزيقية للإنسانية، وأبرز خلفية طرح هايدغر للقضايا الأنثروبولوجية، كاللغة، أو على حد تعبير هايدغر، بيت الكينونة⁽⁶⁾ ومع ذلك، فإن الرد على أسئلة أنثروبولوجية بتوظيف اللغة يؤدي إلى نظام ميتافيزيقي. ولأن هايدغر قد توقع هذا الخطر فإنه يعطي البديل، وهو انتظار استدعاء الكينونة في بيت اللغة، لتصبح اللغة بذلك رمزاً أخلاقياً tropological figure كما الأفق المتسامي أو المكان الذي تستطيع الكينونة أن تصل إليه، إذا ما كان لها أن تصل.

⁵ Ibid.p:17

⁶ Ibid.p:18

ولكن البشر لا يستطيعون أن يقرروا بفاعلية من هم، وبفضل طبيعتهم المفتوحة، فإنهم ينتظرون بسلبية لأن يكونوا أنفسهم بفاعلية، ويقول سلوترديك بهذا الخصوص: "يرتقي هايدغر بالكينونة من خلال هذا الطرح إلى درجة المؤلف الوحيد لجميع الرسائل الجوهرية، ويضع نفسه في مكانة أمينها." (7) ويستنتج سلوترديك من فهم هايدغر للبشر بوصفهم انفتاحًا مترددًا في اللغة، ومن قضية الكيفية التي يتم تشكيل المجتمعات تحت تأثير ضعف الإنسانية، السؤال التالي: من يروض أو يعلم البشر، إذن لازال من غير الواضح بعد كل تجارب تعليم البشرية من هو المعلم وماذا يعلم؟ وبذلك يحول سلوترديك تفسير هايدغر للبشر إلى مسألة كيف يمكننا التعامل مع المجتمعات عندما نتناول الطبيعة البشرية بوصفها غير قابلة للتحديد.

ويرى هايدغر أنه طالما أننا لا نستطيع تحديد البشر بفاعلية دون الانجراف في النظم الميتافيزيقية، فإننا سنتابع الموقف السلبي، وهو انتظار الكينونة. ولكن هل يقدم هايدغر بهذا الموقف حلاً عملياً لمشاكل المجتمعات؟ وهل يعتقد حقاً أنه سيتم حل المشاكل من خلال الإنصات بشكل سلبي إلى الشيء الحقيقي، أي الوجود؟ يتساءل سلوترديك مواصلاً انتقاده لهايدغر. ثم يركز في محاولة منه لتطوير موقف هايدغر على إيمانه بتمايز البشر عن مجرد الوجود للكائنات الأخرى. إذ يقول: "هناك قصة يتم تجاهلها من قبل هايدغر بإصرار، وتعلق بانبثاق البشر إلى المساحة الفارغة، قصة اجتماعية عن مقاربة البشرية من خلال قضية الكينونة والتقلب التاريخي في نشوة التمايز الانطولوجي." (8) وهذا يعني أنه على الرغم من أن هايدغر يركز في فلسفته بشكل مكثف على مركز مسعاه التأويلي، أي الكينونة (Dasein)، إلا أنه يغفل أن البشر يختبرون مجيئهم إلى العالم من خلال وساطة اللغة، أو على حد تعبير سلوترديك قصة "السير في بيت الكينونة". (9) وبهذا، فإن سلوترديك يحاول أن يظهر أن البشر لا يكونون في انفتاحهم في العالم مباشرة، بل من خلال وسائطهم، وبهذا فإنهم يكونون في مأزق البت في ما لا يستطيعون البت فيه، عندما يكونون مضطرين إلى اتخاذ القرار؛ أي مشكلة التحولات أو الانعطافات. (10) وبعبارة أخرى، فإن سلوترديك ينزع صبغة التسامي de-transcendentalizes عن فكرة هايدغر المتمثلة في الانتظار في المساحة الفارغة أو الانفتاح عن طريق مناقشة كيفية أن الوسيط "اللغة" أصبحت مكاناً لهذا الانفتاح، إذ يمارس البشر اكتشاف العالم وأنفسهم.

وعليه، فإن سلوترديك يرى أن فسحة اللغة التي يدخل من خلالها البشر إلى الكينونة بوصفها لحظة بدء التاريخ الثقافي هي: "الكينونة في الفسحة (Lichtung) clearance هي حدث على حدود تاريخ الطبيعة

⁷ Ibid.p:19

⁸ Ibid.p:20

⁹ Ibid. p:21

¹⁰ Ibid. p:19

والثقافة، وذلك لأن الإنسان القادم إلى العالم يتميز من مرحلة مبكرة بوصفه قادمًا إلى اللغة. وبذلك، فإن سلوترديك يجلب الكائن الحقيقي للتحقيق أي اللغة الإنسانية، إذ يجري تدجين الكينونة، وهي الوسيلة التي يوظفها الناس بفاعلية وينتمون إليها بسلبية. ولم يكن سلوترديك ليثير ضجة حول ورقته لو أنه اكتفى بذلك، ولكنه ذهب أبعد من ذلك كثيرًا حين طرح فكرة الأنثروبولوجيا المقابلة *Onto-Anthropology* وتحسين النسل *Eugenetics*.

ويبحث سلوترديك عن سبب أعمق لوجود البشر في حالة مساءلة دائمة، بالإضافة إلى أنه يتساءل عن الوسيط أو الناقل الذي تحدث فيه هذه المساءلة. لقد كانت الكتابة هي الوسيط الأول التي سببت الإنسانية أو تسببت بها، ومع ذلك، فقدت الإنسانية نفوذها الكتابي مع ظهور وسائل الإعلام الجديدة، وبهذا فإن التقنيات الحديثة مثل علم تحسين النسل، تطرح مسألة الكينونة البشرية بوصفها وسيط أو ناقل جديد. وقد جلبت قدرات القراءة والكتابة المجتمعات إلى القدرة على قراءة الجينوم البشري، ولأن هناك مسافة صغيرة بين الترويض *lections (taming)* والانتقاء *selections (breeding)*، فإنه يحق لنا أن نتساءل من نحن بمصطلحات الجينات؟ لقد أصبحت الجينات وسيطًا مشابهًا للكتب، ومع ذلك يمكن للجميع كتابة الكتب بوصفها مقترحات "إنسانية" لتثقيف المجتمع، ولكن هل يمكن لأي أحد كتابة الجينوم؟ ومن شأن إجابة بسيطة بـ "لا" إهمال العملية التعليمية التي أوصلتنا إلى هنا الآن، وتحديدًا الإلزام المعروف جيدًا، وهو: كن مستقلًا، ثقف نفسك وامنح لنفسك قانون.

ولأن مشاكل تحسين النسل ترتبط بطريقة وجود البشر من خلال مجيئهم إلى لغات معينة، فإن تحسين النسل هو جزء من مشكلة التحول أو الانعطاف، ولا يمكن أن يكون قابلاً للحسم ببساطة. ويمكن الآن تلخيص مشكلة التحول على النحو التالي: لا نستطيع أن نقول إن الناس يعلمون أنفسهم أو يتلقون تعليمهم من قبل شيء آخر، وكذلك لا نستطيع أن نقول إننا جيناتنا، ولا أننا لسنا هي تمامًا كما حولها سلوترديك إلى مسألة ترويض وتربية، فالبشر لا يجبرون على البقاء في الحضيرة السياسية كما أنهم لا يبقون أنفسهم فيها.

وبالعودة إلى اللغة بوصفها وسيطًا نجد منطقتنا خاصًا للمشكلات المتضمنة، فرغم كل المزايا التي جلبتها لنا اللغة بوصفها وسيطًا، إلا أنها جلبت مشكلاتها الخاصة، مثل نظريات الأزمة الأنطولوجية والإبستمولوجية تحديدًا، فالتحركات داخل بيت الكينونة؛ أي اللغة، فتحت ساحة المعركة بالنسبة لمسألة ما الذي يجب على الناس القيام به؟ وما هي الأخلاق والآداب؟ وكيف ينبغي أن يكون تعليم البشر؟ وهكذا فإنه يمكننا الزعم أن المشكلة المنهجية في المجيء من الحياة العالم إلى المفاهيم الصريحة؛ أي المشكلة الإبستمولوجية في استنتاج أنطولوجيا محكمة وموثوقة، يؤثر علينا حين نوظف اللغة بوصفها وسيطًا لا نستطيع السيطرة عليه بالكامل، لذلك فإن

سلوترديك يحذرنا من أن هناك قوة خلف الترويض والتهديب، خلأً للتفسيرات الخاطئة، ولهذا، فإنه يطالب بصياغة دستور codex من الأنثروتنقانات anthropo-technics وفقاً لمنطق المشاكل، ووفقاً لمنطق الجينوم الذي هو وسيط جديد لقضية التحولات، ولكنه لا يزال في مجال اللغة.

وعلى صعيد آخر، ومن أجل استعادة أهمية الفكر النقدي اليساري، فقد قارب سلوترديك تحديداً قضايا معاصرة، قضايا مختلفة عن تلك التي تناولها المفكرون في وقت سابق، مثل تلك الخاصة بمدرسة فرانكفورت، وفي عام 2004 أنجز سلوترديك ثلاثية الكرات Spheres trilogy، وهي المشروع الأكثر طموحاً حتى الآن، وتقع في حوالي 2500 صفحة، بعد سبع سنوات من الكتابة. وقد نشر الجزء الأول عام 1998، والثاني عام 1999، والثالث عام 2004. والمجلد الضخم ليس إلا محاولة لكتابة تاريخ البشر من خلال فهم الناس بوصفهم كائنات تنتج الكرات وتعتمد عليها.

وحتى نشر مشروع الكرات، فإن صورة الكرة لم تكن موجودة في الخطاب النظري المعاصر، ولا بد لنا أن نتساءل كيف وصل سلوترديك إلى هذا الرمز، الذي احتل مكانة كبيرة في تفكيره في السنوات الأخيرة. ولمن أشار من الكتاب أو النصوص في مشروعه؟ يرى سلوترديك أن ثقافة ما لا تحمل مفردات كاملة عن نفسها، وتؤكد لعبة الكلمات الحالية على تحديد موضوعات، وترك غيرها من الظواهر دون معالجة، وهذا ينطبق كذلك على مفردات النظرية في أواخر القرن العشرين. ويمكن للمرء، في العقود الماضية، أن يتكلم بشكل متقن، ومع فارق بسيط، عن كل ما يتعلق بالتركيب الزمني في العالم الحديث، فقد نشرت أطنان من الكتب تتحدث عن الدفع نحو الماضي historicization والتوجه إلى المستقبل، futurization، وتجهيز كل شيء، ومعظمها ليس مقروءاً حتى الآن. وعلى النقيض من ذلك، كان لا يزال من الصعب نسبياً، قبل عشر سنوات تقريباً، التعليق على نحو معقول على مكانية الوجود spatialization of existence في العالم الحديث، ضباب كثيف يغطي فضاء النظرية. وقد كان هناك، حتى وقت قريب، عمى مكاني طوعي، وبسبب المستوى الذي كان ينظر فيه إلى المشاكل الزمانية بوصفها تقدمية، كان يعتقد بأن قضايا المكان قديمة ومحافضة، وتهتم الرجال من الطراز القديم والإمبرياليين. حتى الفصول الساحرة عن الفضاء؛ أي المكان، التي كتبها دولوز وغواتاري في ألف هضبة لم تغير الوضع، لأنهما كانا سابقين على عصر مولع بعبادة الزمن. والأمر نفسه ينطبق على مقترحات فوكو المتأخرة، الذي يرى أننا ندخل مرة أخرى عصر الفضاء، أي المكان، الذي لم يكن لنا أن ندخله في تلك الفترة، ولو انتقالياً.

يقول سلوترديك: نحن غير قادرين، ببساطة، على الاستمرار في علم الكونيات القديم: أوروبا التي تقوم على المساواة بين المنزل والموطن والعالم. ويرى جاكوب فون أكسكول Jakob von Uexkull: "أنه من

الخطأ الاعتقاد بأن العالم البشري يشكل مرحلة stage مشتركة لجميع المخلوقات الحية، كل مخلوق يعيش مرحلة خاصة به، والتي هي حقيقية مثلها مثل المرحلة التي يعيشها البشر". وتقدم لنا هذه الرؤية وجهة نظر جديدة تمامًا عن الكون الذي لا يتكون من فقاعة صابون واحدة طيرناها أبعد من آفاقنا لتتخذ أبعادًا لانهائية، ولكنه بدلاً من ذلك يتكون من ملايين فقاعات الصابون المتجاورة بشكل وثيق، بحيث أنها تتداخل وتتقاطع في كل مكان. "والمكان الحيوي لا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا منحنا الأولوية للداخل.⁽¹¹⁾ لقد طرحت الحداثة موضوع الإقامة أو السكنى بوضوح، يتابع سلوترديك، فبنيامين في مشروع الأروقة يبدأ من الافتراض الأنثروبولوجي الذي يقول إن الناس في جميع العهود يكرسون أنفسهم لخلق أماكن داخلية. وقد عبر الرجل الرأسمالي في القرن التاسع عشر عن هذه الحاجة من خلال استخدام أكثر التقنيات المتطورة من أجل تحسين الوجود عن طريق بناء الجزر الواقية. إنه يستخدم الزجاج والحديد وقطع الغيار الجاهزة الأخرى بغية بناء أكبر داخل ممكن. وتبشر الأروقة بإلغاء العالم الخارجي، إنها تلغي الأسواق في الهواء الطلق وتجلبها إلى الأماكن المغلقة، إلى الكرات المغلقة. لقد كان ذلك شرارة اتجاه اكتمل في تصميم الشقق في القرن العشرين، وكذلك في مراكز التسوق، وتصميم الإستاد الرياضي.⁽¹²⁾

وهناك أربع مراحل تفسر ظاهرة الإقامة كما يراها سلوترديك:

* المنزل بوصفه مكانًا للانتظار: الانتظار القسري: البيوت في البداية كانت آلات لقتل الوقت. فالناس البدائيين في المزرعة كانوا ينتظرون حدثًا صامتًا في الحقول، حدث لا يمكنهم التأثير عليه، ولكنه بفضل الله لا يحدث بانتظام، وهو لحظة الخصب حين تتحول بذور النباتات إلى فاكهة.

* المنزل بوصفه مكانًا للاستقبال: هذا النوع من التواجد في المنزل تهدد في العصور الوسطى مع انتشار الثقافة الحضرية، ومنذ ذلك الحين زادت نسبة السكان الأوروبيين الذين وقعوا في مصيدة الضجر وقلة الصبر، وعدم القدرة على الانتظار، وفي المدينة لا تنضج الأمور ولكنها تنتج، فالمنزل والعمارة يعنيان أن بشراً يحشرون بشراً في إنشاءات يصنعها البشر.

* المنازل بوصفها أنظمة غلاف جوي يوفر نظامًا مناعيًا مكانيًا، فيما يتعلق بالغلاف الجوي المصمم خاصة، أي الهواء الذي يتنفسه المرء.

¹¹ Peter Sloterdijk Spheres Theory: Talking to Myself about the Poetics of Space." Harvard Design Magazine, Spring–Summer 2009, 1–9

¹² Ibid.

* وأخيراً الشقة في بناية: أو الموضع (studio) المخصص لوجود علاقة ذاتية في النظرية المعمارية، والذي يمكن أن يحدد بوصفه مرحلة ناجحة لأسرة من شخص واحد، كل شيء يوجه إلى داخل الشقة: حيث يدمج العالم والأسرة معاً. وإذا ما كان اليوم لوجود بشري أن ينجح، فإن ذلك بفضل الدعم المعماري الذي حول الشقة ذاتها إلى عالم بأسره. ونواجه اليوم الطريقة التي يتم بها عزل مبنى، مع ملاحظة أنه يجب عدم الخلط بين العزلة في مبنى وضخامة المبنى. فالعزلة التي يمكن النظر إليها بوصفها ظاهرة مستقلة هي أنموذج لتفسير حالة العيش مع جيران، وينبغي أن يكتب أحدهم كتاباً في مديح العزلة، واصفاً بعداً للتعايش الإنساني الذي يعترف بحاجة الناس للامحدودة إلى عدم التواصل.⁽¹³⁾

فجميع الكائنات في هذا العالم، يؤكد سلوترديك، تمتلك صفات للتعايش. وقضية الكينونة التي ناقشها الفلاسفة بحرارة يجب أن تطرح هنا في سياق التعايش بين الناس والأشياء في الأماكن التي تضمهم، وهذا يعني وجود علاقة رباعية: الكائن يعني شخص، (1) يكون مع شخص آخر، (2) ومع شيء آخر، (3) في شيء أو مكان (4). هذه الصيغة توضح مدى التعقيد - في الحد الأدنى، الذي نحتاج إلى بنائه من أجل التوصل إلى مفهوم مناسب للعالم. ولا بد أن يشارك المهندسون المعماريون في هذا الطرح، لأن الوجود في هذا العالم يعني بالنسبة لهم مسكن في مبنى، والبيت هو استجابة ثلاثية الأبعاد لقضية "كيف يمكن لشخص أن يعيش مع شخص آخر وشيء آخر في مكان ما"، وبطريقتهم الخاصة، يفسر المهندسون المعماريون حرف الجر "في" الأكثر غموضاً من جميع حروف الجر المكانية، فهذا الحرف يسلط الضوء على كونك بالداخل ضمن حاوية ماء، وعلى كونك خارجاً على حد سواء. والبشر كائنات منتشية، إذا ما وظفنا مصطلح هايدغر، إنهم محتجزون في العراء إلى الأبد، وبالمعنى الأنطولوجي، فإنهم في الخارج؛ أي في العالم، لكنهم لا يمكن أن يكونوا في الخارج إلا إذا استقروا من الداخل، في شيء ما يمنحهم كامل الدعم، ولا بد هنا من التأكيد على هذا الجانب اليوم لمواجهة رومانسية الانفتاح الحالية. إنه نظام المناعة المكانية التي تتيح لنا أن نمح الكائن في الخارج شكلاً مقبولاً، وهكذا فإن المباني هي نظم للتعويض عن النشوة. "اللغة هي بيت الكائن" كما افترض هايدجر، وهي الحصن القوي الذي يمكننا من صد المفتوح والمكشوف. ومع ذلك، فإننا نسمح أحياناً للزوار بالدخول. وفي العلاقات الإنسانية، يخلق الحديث والمبنى الأمن الكافي الذي يسمح بالنشوة.⁽¹⁴⁾

ولهذا السبب، من وجهة نظر سلوترديك، فإن المهندس المعماري هو الشخص الذي يتفلسف في المادة ومن خلالها؛ فالشخص الذي يبني مسكناً أو ينصب مبنى لمؤسسة، إنما يقدم بياناً بشأن العلاقة بين النشوة

¹³ Ibid.

¹⁴ Ibid.

والسكون enstatic، أو بين العالم بوصفه شقة والعالم بوصفه ميدانًا أو ساحة مكشوفة أغورا (agora)، ومشروع الكرات هو عن داخل إنساني محدد. ويشرح سلوترديك معنى نظريته على المستوى الميتافيزيقي، وهي أن البشر لا يعيشون خارج الطبيعة، وإنما يخلقون دائمًا نوعًا من الفضاء الوجودي حول أنفسهم. والمساحات الحضرية هي البيئة المؤنسة، حيث يتم استبدال الطبيعة بواقع من صنع الإنسان، ومن الممكن أن يثير هذا نوعًا من الاغتراب، والشعور بالفقد داخل المدن التي قد تتوقع أن تشعر بها وكأنك في الطبيعة.⁽¹⁵⁾ ففي المجلد الثالث من الكرات، وفي فصل طويل بعنوان "مدينة الرغوة" يحاول سلوترديك أن يصف هذه المضاعفات من الحياة العصرية بتوظيف مصطلح صناعة الرغوة foammaking، فكل فرد يعيش في فقاعة محددة داخل رغوة التواصل، و"مدينة الرغوة" هي نظرية للعيش في شقة، والشقة هنا هي المكان الذي يحتوي على وسائل الاتصال اللازمة مع العالم الخارجي، إلا أنها أيضًا نظام مناعة مكاني، إنه يحصنك ضد تأثيرات العالم الخارجي، ولكنه في الوقت نفسه يربطك بالعالم الاجتماعي الذي هو شكل من أشكال "العزلة المترابطة"، وهو مصطلح ابتدعه توم ماين، المهندس المعماري الأمريكي في أوائل السبعينيات.

ويمكن للعزلة المترابطة أو المتصلة أن تكون مفهومًا هايدغريًا، إنه على الأرجح واحد من أكثر المفاهيم العميقة التي لم يسبق أن وضعت داخل النظرية المعمارية الحديثة، لأنه يتضمن الحكم على الطريقة الحديثة للحياة، ولا يعتقد سلوترديك بفرضية هايدجر التي تقول إن العصر الحديث هو عصر التشرد، فما يراه هو التحول في جميع هذه الشكاوى التقليدية بشأن التشرد الحداثي إلى لغة علم المناعة language of immunology. وبالنسبة له، فإنه لا بد من ترجمة الميتافيزيقيا العملية إلى لغة علم المناعة العام، لأن الكائنات البشرية، وبسبب انفتاحها على العالم، هشة في المستوى البيولوجي، وفي المستويات القانونية والاجتماعية، وفي المستويات الرمزية والطقوسية. ونحن نحاول دائمًا خلق وإيجاد بيئة واقية، إن مهمة بناء جهاز مناعة مقنع واسعة جدًا ومحيطية حتى لا تكون هناك أية مساحة للأشواق النوستالجية. وهذه مهمة مستمرة لا بد من أدائها وتنظيمها بكل تقنية متاحة، ولا توجد وسيلة للتراجع حسب سلوترديك.⁽¹⁶⁾

ولكن لماذا هذه النهضة في الاهتمام بالمكان؟ ولماذا الآن؟ فأينما ينظر المرء الآن في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وفي الأنثروبولوجيا، وفي علم الآثار، وفي العمارة، وفي الاقتصاد، وفي التعليم، وفي التاريخ، وفي القانون، وفي السياسة، وفي علم الاجتماع والسياسة الاجتماعية، يجد علامات على ما يمكن تسميته "الحياة المكانية": أي أن يتكرر المكان أكثر فأكثر، بوصفه مشكلة وحل على حد سواء. وبعبارة أخرى،

¹⁵ Ibid.

¹⁶ Ibid.

يمكن القول إننا نعيش إحياءً ملحوظاً للاهتمام بالمكان، اهتمام يضاهي بل يتجاوز الاهتمام الذي تفجر مطلع القرن التاسع عشر عندما شكلت البيئة والازدحام والتقليد ومواضيع أخرى مشابهة مشكلة مكانية مشتركة في العديد من مجالات المعرفة. وغالبًا ما يصور هذا الإحياء بوصفه إعادة اكتشاف نظري لأهمية الفضاء والمكان، وقد كان ذلك عنصرًا قويًا في الحكاية. ولكن يظهر، بالمقابل، أنه نابع من تطبيق أساليب مختلفة لفهم المكان من قبل جهات عديدة ومتنوعة. وبمرور الوقت، أنتج تطبيق هذه الأساليب نوعًا جديدًا من "المكانية placeness" التي هي على درجة من التعقيد والتلون، كما كان يحدث من قبل، ولكنها تشكل نوعًا جديدًا من المناظر الطبيعية landscape مع أشكالها الخاصة من الخبرة.⁽¹⁷⁾ وإذا ما تخلصنا من فكرة أن الأساليب ليست مجرد تقارير عن واقع غير فاسد، ولكنها هي ذاتها جزء من الحالة، فقد نتمكن من البدء في رؤية الثراء الكامل لهذا الاحتمال الجديد. ويمكننا القول إن تحولاً جذريًا قد حدث في وصف الأشياء، وأن هذا التحول أقرب ما يكون إلى ذلك الذي وقع في القرن الثامن عشر، وشكل تحولاً في ما نعرفه وما نريد أن نعرفه، ونحن الآن نعيش تحولاً مماثلاً تقوده تغيرات ثقافية كبرى مشابهة:

- تجريبياً: بوساطة الطرق التكنولوجية الجديدة لرؤية وتقدير الأشياء في العالم العادي من خلال أجهزة شعبية مثل المجهر، والتلسكوب، والتحليل التجريبي.
- اقتصادياً: عن طريق توسع ثقافة الاستهلاك في الحضور المتزايد والوعي بالأشياء في السوق، وفي المنزل، وفي الحياة اليومية.
- وإبستمولوجياً: عن طريق المواقف المتغيرة تجاه العام والخاص، والفردي والكوني.

● وسردياً: من خلال إدراك وتمثيل المكان الأليف.⁽¹⁸⁾

وليس أدل على ذلك من اكتساح جيل جديد من أساليب البحث التي يجري تطبيقها الآن على المكان، وانتشار الأساليب البحثية، التي تؤشر لها الموسوعات وسلسلة الإصدارات التي حولت الأماكن إلى ما يشبه المختبرات الحيوية، والبيئات التي تشكل المختبرات في الميدان، والتي هي في الوقت نفسه المحركات التي تسمح بإنتاج الحقائق. ويمكن الزعم إن هذه الأساليب ليست مجرد بناء داخلي، ولكنها أيضاً تنشأ من الضغوط الاجتماعية الأوسع. واحد من هذه الضغوط هو ارتفاع الاستهلاك الفردي و"توافقه الاجتماعي المكاني socio-

¹⁷ Thrift, N.J. RE-ANIMATING THE PLACE OF THOUGHT: Transformations of Spatial and Temporal Description in the Twenty-First Century. University of Warwick, p:7

¹⁸ Wall, C.S. (2006) The Prose of Things. Transformations of Description in the Eighteenth Century. Chicago, University of Chicago Press, p:2

spatial correlate، وهو نوع جديد من التعايش الإنساني في مكان من هذا العالم worlding، يتم من خلاله إنتاج أنواع جديدة من السكنى inhabitation⁽¹⁹⁾. ويتتبع أعمال كل من لازاراتو Lazzarato وسلوترديك على وجه الخصوص، فسيتضح لنا، وتحت إبحار مطالب الاستهلاك الفردي أن نوعاً جديداً من الجو المكاني spatial atmosphere⁽²⁰⁾ يتم إنشاؤه، حيث يسمح لأنواع مختلفة من الكائنات والموضوعات والعوالم بالظهور إلى حيز الوجود من خلال تركيب ما يمكن أن نطلق عليه الخريطة الصالحة للسكنى inhabitable map⁽²¹⁾. وتعد طرق البحث تأكيداً للقيم السائدة، بل هي وسائل لاستكشاف واستجواب العالم. إنها ليست بناء اجتماعياً فحسب، ولكنها وجود نشط في حد ذاتها. ومع ذلك، فإن التحرك خطوة واحدة في مختلف المخيمات المنهجية لإنتاج مزيد من الاهتمام بالمكان وبقيم مثل: الاستدعاء الذاتي recursivity والانعكاسية، والمشاركة لا يمكن أن ينظر إليها بوصفها قيماً تحريرية فحسب،⁽²²⁾ بل هي أيضاً عنصر في روح العصر العامة التي تستحثها على استجواب معمم للموضوعات والأشياء، فضلاً عن تشييد المساحات والأماكن التي تسمح بهذا الاستجواب. ولكن السؤال هو: هل هذه التطورات دلالة على ظهور نوع جديد من المشهد landscape المرقم بالبلاديوني Palladian، نسبة إلى المعماري إندريا بالاديو، أو أنها بناء دائرة خارجية جديدة من النار؟ والإجابة لا تزال مبهمة حتى الآن.⁽²³⁾ هذه المسائل السياسية، ليست فقط حول كيف أن بيئتنا قادرة على تحقيق السيطرة grip على حياتنا، بل أيضاً حول كيف أن بيئتنا أصبحت حيواتنا بحيث أن السيطرة grip نفسها قد تصبح مصطلحاً غير كافٍ لأنه يعني أن شيئاً يعمل على شيء آخر بدلاً من خلط الاثنين، الأمر الذي قد يتطلب البحث عن مصطلح آخر. وربما كان ما هو مطلوب سياسياً، في المقابل، هو مشروع أطلق عليه بيتر سلوترديك "التهوية ventilation" أو "تكييف الهواء air-conditioning" حيث إن الأماكن ترخي قبضتها loosened up حتى توفر موارد للتفكير السياسي والقدرة على الاستجابة.

إن إنتاج خريطة السكنى الجديدة يجب أن ينظر إليه بوصفه جزءاً من ميل أوسع نطاقاً، وهو بالتحديد فردنة الاستهلاك individualization of consumption الذي تواصل على قدم وساق منذ السبعينيات. وثمة عملية تاريخية هامة كانت تجري منذ ذلك التاريخ، وأن التعجيل في عملية الفردنة "الشاملة" قد دعم شكلاً جديداً من أشكال الفردانية النفسية وتقرير المصير. وأصبح من السهل التعبير والإفصاح عن الرغبة desire

¹⁹ Thrift, N.J. RE-ANIMATING THE PLACE OF THOUGHT: Transformations of Spatial and Temporal Description in the Twenty-First Century. University of Warwick, p:7..

²⁰ Ibid. p:7

²¹ Ibid:7

²² Ibid:7

²³ Wall, C.S. (2006) The Prose of Things. Transformations of Description in the Eighteenth Century. Chicago, University of Chicago Press, p:6

التي يجب أن نفهم وتعالج بوصفها حالة فردية، ولا سيما من خلال وسيلة الاستهلاك الذي أعيد ابتكاره. وهكذا، فإن خريطة السكنى الجديدة المزمع إنشاؤها لابد أن ترضى ثلاث قيم: ملاذ من ضغوط عالم العمل، وأشكال مختلفة من منح الصوت للتعبير عن الذات، والاتصال الاجتماعي "social connection" ومن هنا نجد التزايد الهائل في مواقع التشبيك الاجتماعي التي تسمح للأفراد بالتواصل مع أفراد آخرين".

وإن الناس، بمنطق المؤسسة الرأسمالية الإدارية، يجب أن يتكيفوا مع أحكام وشروط الاستهلاك التي يحددها المنتجون، ولكن جوهر التفريد أو الفردنة الحقيقي للاستهلاك هو عكس هذا المنطق. إنه يتطلب من وكلاء التجارة العمل في الفضاء الفردي، وهناك يمكنهم أن يشكلوا علاقة مع الفرد، كما أنه يتطلب منهم أن يعرفوا أكثر عن عملائهم، وأن يسعوا للدخول في علاقة فردية معهم، الأمر الذي يتطلب مزيداً من المسح والاستجواب.⁽²⁴⁾ ولكنه يتطلب شيئاً آخر؛ أي التدخل النشط، وذلك لإنتاج المساحات والأماكن التي يمكن أن تزدهر فيها هذه العلاقات. وتعتمد فردانية الاستهلاك على إعادة صياغة المكان والزمان في المجتمعات الغربية المعاصرة، حيث تدعم نشوء اللحظات الحاسمة الفردية individualised decisive moments أي البقع الساخنة، التي يمكن اتخاذها للحصول على فائدة، لأنها ستكون بمثابة نوع من "التدوال"؛ أي العملة الزمكانية. وإعادة الاشتغالات على الصياغات التي سنطلق عليها مصطلح worldings "التعايش الإنساني في مكان ما"، لا تعتمد فقط على البيانات الخام، وإنما على المسوح المتكررة للمساحات، التي تنتجها مجموعة من الأساليب التحليلية لدراسة مميزات وخصائص الأماكن والناس الذين يعيشون فيها، والتي تسفر عن معلومات ارتجاعية مستمرة حول اللحظات الحاسمة.

ومن الممكن أن يعد آخر صيحة في تاريخ المسوح ما فعله بيتر سلوترديك، وهو رغبته في إظهار كيف انتقلت الأعمال التجارية الحديثة modern business من التركيز على إنتاج الكائنات objects إلى التركيز على إنتاج العوالم worlds التي لا مفر من أن تكون أماكن، وبالتالي، فإن مؤسسات الأعمال التجارية لا تخلق الكائن، بل العالم الذي يوجد فيه الكائن. وإن المؤسسة التجارية لا تخلق زبائنها، كما كان يحدث في الأنظمة القديمة الانضباطية، ولكن العالم الذي يعيش الإنسان في كنفه، كما يقول لازاراتو.⁽²⁵⁾

وتنتج الشركة عالمًا، ويجب أن يتوافق المستهلك والعامل والخدمة والمنتج، في منطقتها، مع هذا العالم، ويجب أن يكون هذا العالم بدوره مطبوعاً منقوشاً على نفوس وأجساد المستهلكين والعمال. ويحدث هذا النقش

²⁴ Thrift, N.J. RE-ANIMATING THE PLACE OF THOUGHT: Transformations of Spatial and Temporal Description in the Twenty-First Century. University of Warwick, p:21

²⁵ Lazzarato, M. (2004) 'From capital-labour to capital-life' Ephemera, 4, 187-208

من خلال التقنيات التي لم تعد حصراً انضباطية أو تأديبية. والشركة داخل الرأسمالية المعاصرة لا وجود لها خارج المنتجين أو المستهلكين الذين يعبرون عنها. فعالمها وموضوعيتها وواقعها، كل ذلك يندمج مع العلاقات التي يقيمها العمال والمستهلكين والشركاء بعضهم مع بعض، وبالتالي فإن الشركة، مثل الله في فلسفة لايبنتز، تسعى لإنشاء الانسجام أو التوافق والتداخل، وتصالب بين الموناد؛ أي المستهلك، والعامل، والعالم، أي الشركة. ويتضمن الأمر سريان العالم والتعبير عنه وعن الذاتيات subjectivities، بمعنى أن خلق وإدراك المعقول؛ أي الرغبات والمعتقدات والاستخبارات، تسبق الإنتاج الاقتصادي. والحرب الاقتصادية الدائرة في الوقت الراهن على نطاق كوكبي هو في الواقع "حرب جمالية".⁽²⁶⁾

والشركة هو إنتاج ما يمكن تسميته سيميائية اللحظات حاسمة decisive moments of semiosis، وتمتلك مثل هذه اللحظات تاريخ ثقافي عميق الجذور، وكانت اللحظة الحاسمة، في جزء كبير منها، من اختراع رسامي عصر النهضة، حين حاولوا تصوير نقاط التحول الكبرى في التاريخ.⁽²⁷⁾ إنهم يبنون مشاهد بقدر كبير من التفصيل يؤخذ فيه مزاج ونزعات كل شخص أو كائن بوصفه جزء من لحظة تائقة للتحقيق، وقد التقط الفوتوغرافيون هذا الموتيف وخصوصاً المصورون الصحفيون، مثل هنري كارتييه بريسون، و"اللحظة الحاسمة"، وهو عنوان معرضه في متحف اللوفر، وهي اللحظة التي تتمكن فيها عدسة الكاميرا من تعليق حدث يومي في عين وقلب الناظر لإنتاج لحظة التقاء الناظر والمنظور. إنه الاعتراف المتبادل المتزامن، في جزء من الثانية، بأهمية حدث ما، وكذلك بالتنظيم الدقيق للأشكال التي تعطي هذا الحدث معناه الصحيح.⁽²⁸⁾

وإن اللحظة الحاسمة لا تزال الدعامة الأساسية للدراما الحديثة، وقد بنيت كل النتاجات حول توضيح قوة لحظة واحدة، كما هو الحال في قدرة ديبورا وورنر على تركيز كل تيتوس أندرونيكوس على لحظة، حين تأتي لافينيا المغتصبة إلى خشبة المسرح مفرومة اليدين مقطوعة اللسان، عمها الذي يرى أمامه حطام امرأة يتمنى لها يوماً سعيداً ويسألها عن زوجها على نحو غير مفهوم إطلاقاً. وغالباً ما يتم قطع اللحظة من المسرحية من قبل مخرجين بوصفها تنافراً مستحيلاً، ولكن وارنر جعلتها انتصاراً، إنها الكائن الأساسي، أو على حد تعبيرها "فعل الشيء الصحيح في الوقت الصحيح". والأكثر وضوحاً هو أنه قد أصبح هناك فيلم. ويمكن فهم السينما باعتبارها سلسلة من التأملات التطبيقية لعملية استدعاء اللحظات الحاسمة: "الحقيقة 24 مرة في الثانية، كما قال

²⁶ Thrift, N.J. RE-ANIMATING THE PLACE OF THOUGHT: Transformations of Spatial and Temporal Description in the Twenty-First Century. University of Warwick, p:23

²⁷ Ibid, p:23

²⁸ Ibid, p:23

غودار ذات مرة.⁽²⁹⁾ السينما قادرة ليس على إنتاج تسريع، ولكن على إنتاج إرجاء وتأجيل، محافظة بالتالي على اللحظة التي تم فيها تسجيل الصورة لأول مرة في نوع من الحاضر الموسع.⁽³⁰⁾

وهناك ملاحظة أخرى تتعلق بتاريخ اللحظة، فتلك اللحظات لا بد أن تُكشف بطرق ميكانيكية جديدة، في كل حالة، يمكن من خلالها إعادة ترتيب وتحويل مادة الوقت العابر الخام والاختلاف المكاني، عبر كاميرا 35 أم أم المحمولة خفيفة الوزن بمساعدة وسائل خاصة بالإضاءة والانتقال إلى حركة بطيئة وإطارات توقف وإمكانيات لمؤثرات رقمية خاصة. وتتطوي كل حالة على إعادة صياغة للعلاقة بين الناظر والمنظور، والانتقال من علاقة تشبه العلاقة باللوحه إلى علاقة يحضر فيها الناظر بشكل مختلف من خلال الانتباه المستمر الذي هو "تعليق الإدراك الحسي" suspension of perception هذا الانتباه المستمر هو الدعامة الأساسية والشرط المسبق لإنتاج لحظات حاسمة.⁽³¹⁾

وإن إنتاج اللحظات الحاسمة يعني، في الممارسة العملية، إنتاج المساحات التي تكون قادرة على إنتاج وتمثيل اللحظات حاسمة من كل الأنواع، فتصبح الحياة اليومية موكبًا من اللحظات المتغيرة بسرعة المشحونة سيميائيًا، والتي يمكن استغلالها للفائدة profit، والمتحققة من خلال أماكن مصممة بعناية للحصول على استجابات خاصة تهدف إلى إطلاق العنان للمضاربة والإبداع، وتضخيم ما نعده كائنًا. ويمكن رؤية اللحظات الحاسمة التي تنتج عبر تصميم واعٍ للمكان من خلال انتشار العمل على جعل المكان في الأصول الواعية لتوليد الإبداع، كما هو الحال في أماكن العمل، والعمل الضخم على توليد اقتصادات خبرة experience economies.⁽³²⁾

ويصبح عمل سلوترديك هنا ذا أهمية، ففي مجلداته الثلاث الموسومة بـ "ثلاثية الكرات" يأخذ سلوترديك مسكن هايدغر نقطة مرجعية أساسية، ثم يجعل لتفكيره مكانًا spatializes his thinking من خلال طرحه مسألة الكينونة بوصفها مسألة أن نكون معًا the question of being-together، فليس المرء وحيدًا مع ذاته بالمطلق، ولكنه مع أشخاص آخرين، مع الأشياء والظروف، (ثلاثية الكرات: 200) وبالتالي فإنه أبعد من ذاته بمعنى أنه في بيئة. فكينونة الأزواج Being-a-pair تسبق جميع اللقاءات، وتهتم ثلاثية الكرات بديناميكية

²⁹ Mulvey, L. (2005) Death 24X a Second. London, Reaktion., p:15

³⁰ Thrift, N.J. RE-ANIMATING THE PLACE OF THOUGHT: Transformations of Spatial and Temporal Description in the Twenty-First Century. University of Warwick, p:24

³¹ Ibid, p:24..

³² Ibid, p:25

أماكن التعايش، الأماكن التي عادة ما يتم تجاهلها، لسبب بسيط هو أن "الوجود البشري... يرسو في مكانية spatiality لا يمكن تجاوزها أو التغلب عليها" (ثلاثية الكرات: 229).

ويستمر سلوترديك مع هذه الإشكالية المكانية، ويهتم بالكيفية التي تفتح فيها المسافات والأماكن عناصر موجودة وقائمة لتنتج أنواعًا مختلفة الكينونة الجماعية being-togetherness. ويحدد سلوترديك ثلاث موجات من العولمة، كل واحدة مع أشكالها الجديدة من البنى المصطنعة، أما الموجة الأولى فهي العولمة الميتافيزيقية لعلم الكونيات اليوناني، والموجة الثانية هي العولمة البحرية منذ القرن الخامس عشر، والموجة الثالثة هي التي نعيشها الآن. وفي حين أن الموجة الأولى أنشأت هندسة باطنية وأنتجت الموجة الثانية كوزموبوليتانية ظاهرة، فإن الموجة الثالثة للاتصالات السريعة تنتج من خلال عمل "الانضمام إلى الجهاز العصبي للقاطنين في مكان متماسك" حسب تعبير سلوترديك، انعزالية عالمية من "العزلات المتصلة من المناخ الصغير الذي يتم فيه استبدال العلاقات التواصلية communicative relations بالعلاقات المحاكاتية والتوحيدية inter-autistic and mimetic relations، وهو عالم على غرار كرات صغيرة منعزلة، هدد نوعًا معينًا من الكينونية الجماعية" (ثلاثية الكرات 226).

وتمثل ثلاثية الكرات انقلابًا واسع النطاق في الخطابات الفلسفية والثقافية النظرية في معادل التفكير المعاصر خلال العقد الماضي. وعندما بدأ سلوترديك عام 1990 في كلية بارد في نيويورك، كان الأمر بالنسبة له مجرد هاجس غامض يتعلق بهذا التحول الطوبولوجي ضمن النظرية الثقافية. وتمكن، الآن فقط، بعد الانتهاء من الثلاثية، كما يقول، من رؤية أكثر وضوحًا تربط عمله مع العديد من العلماء في جميع أنحاء العالم، مثل هومي بهابها، وأرجون أباديوري، وإدوارد كيسي، وفن إيليا كاباكوف، وأعمال المعماريين مثل فراي أوتو، وغريمشو وشركاه، وأوريم كولهااس، التي تنتمي إلى دائرة العلاقات النظرية. وقد كان سلوترديك يرغب في العمل مع رسومات تتعلق بالدائرة والسهم من أجل تقديم التفكير الفلسفي لطلابه في نيويورك وفينا، الذين كانوا من الفنانين الشباب، وأعتقد أن الرسوم الجرافيكية قد تكون مفيدة في هذا السياق.

كان سلوترديك مفتونًا برسومات الطباشير التي مارسها مارتن هايدغر عام 1960، في حلقة دراسية في سويسرا، من أجل مساعدة الأطباء النفسيين على فهم أفضل لأطروحاته الأنطولوجية. وهذه هي المرة الوحيدة التي وظف فيها هايدغر الوسائل البصرية، لتوضيح الحقائق المنطقية، ذلك أنه يرفض الوسائل اللاسلفية من هذا القبيل. وفي الرسم يمكن للمرء أن يرى خمسة أسهم، يندفع كل منها نحو أفق نصف دائري، يعد تجسيدًا رائعًا لمصطلح معنى الكينونة Dasein بوصفها حالة كينونة متجهة نحو أفق العالم الذي يتراجع باستمرار، لسوء الحظ، ليس من المعروف كيف كان رد فعل الأطباء النفسيين على ذلك، ولكن سلوترديك يذكر كيف

شغلت الرسوم تفكيره، وقد برزت في رأسه خلال السنوات التالية أركولوجيا حقيقية للفكر المكاني بفضل تأثير هايدغر. ويعترف أن التركيز الرئيس أوروبي التوجه، ولكن كان هناك اعتبار للثقافات غير الأوروبية، ولا سيما في الهند والصين. ويدين سلوترديك لشعرية الفضاء عند غاستون باشلار، على الرغم من أنه غادر تلقيناته بعناد فيما بعد.

يلعب مصطلح "الكرة" sphere دورًا حاسمًا في فلسفة بيتر سلوترديك، في حين أن الخطابات الجديدة الأخرى عن المكان تحتفي بمصطلحات مثل "المكان" place، و"المسكن" dwelling، و"الأراضي" territory، و"المحلية" local و"العالمية" global، ومصطلحات أخرى تنتهي باللاحقة scape. ويرى سلوترديك أن هناك أسبابًا مختلفة لذلك، منها ما هو لغوي ومنها ما هو حقيقي، والحاسم هنا هو أنه وتحت الطبقة الرقيقة من الألعاب اللغوية الحديثة، حيث تلعب كلمة الكرة دورًا هامشيًا، تقع طبقة قديمة قوية جدًا يمكن أن يطلق عليها المرء نطاق الألفي عام من التفكير الكروي الأوروبي two-thousand-year domain of old-European sphere thinking⁽³³⁾. ولكننا بوصفنا المنقذين الحداثيين، يقول سلوترديك، نسينا ببساطة أنه في العصر بين أفلاطون وليبنز كان كل شيء يمكن أن يقال عن الله والعالم يتم بمصطلحات علم الكرويات spherology، ولو فكرنا في المبدأ الأساسي السحري لتصوف العصور الوسطى، الذي يقول: إن الله قبة سماوية مركزها في كل مكان ولا مكان لمحيطه. ويمكن للمرء الادعاء بأن النزعة الفردية في العصر الحديث تدل على إدراك واع لهذه العقيدة.⁽³⁴⁾

وقد لعبت السيميائيات الألمانية دورًا في اختيار سلوترديك، لأن كلمة كرة قد وظفت على يد غوته وهايدغر بوصفها مرادفًا تقريبيًا لدائرة الحياة أو عالم المعنى، وهذا يناسب بالفعل بحثه المتواصل عن لغة مناسبة للمكان المتحرك، الشخصي، أو السريالي.

وتحمل العناوين الفرعية لثلاثية الكرات أسماء، مثل "الفقاعات" Bubbles، و"الكرة الجغرافية" Globes، و"الرهاوي" Foam، وهي مصطلحات تبدو غير عادية في حقل الفلسفة، وتظهر كما لو أن سلوترديك يحاول إنشاء مجال لغوي يبدو أقرب إلى الخطاب اليومي. ويتردد سلوترديك في اعتبار مصطلحاته رمزًا أو استعارات، لأن الكلمات، في رأيه، مثل الكرة، والكرة الجغرافية ليست استعارة ولكنها صورة فكرية

³³ Sloterdijk, Peter in Funke, Bettina. "Against Gravity: Bettina Funcke talks with Peter Sloterdijk." Art forum, Feb/Mar, 2005. Internet source.

³⁴ Ibid.

thought-images، أو قل مجاز فكري، خرجت من رحم الهندسة، وكان لها منذ العصور القديمة اليونانية، معنى مورفولوجي واضح، تحول إلى معنى كوني بعد أفلاطون.⁽³⁵⁾

ويرى سلوترديك أن الأمر يختلف مع عناوين المجلدين الأول والثالث "الفقاعات والرغوة". فنحن هنا مهتمون بالرمزية، عند القراءة الأولى. وقد حاول سلوترديك من خلال الفقاعات وصف رنين الفضاء الديناميكي بين الناس، كما نجده في العلاقات التكافلية بين الأم والطفل، وبوتشيس وفيلمون Baucis and Philemon، والمحلل النفسي والتحليل، والصوفيون والله، وما إلى ذلك. وعلى النقيض من ذلك، فإن الرغوة، فضلاً عن معناها المجازي، والذي وظفه سلوترديك بدلاً من مصطلح المجتمع الذي استنفد تماماً، تحمل بالطبع معنىً حرفياً. ويصف مصطلح الرغوة، من منظور مادي، نظاماً متعدد الحجرات، يتكون من فراغات شكّلها ضغط الغاز والتوتر السطحي التي تقيد كل واحدة منها الأخرى وفقاً لقوانين هندسية صارمة إلى حد ما. ويبدو للسلوترديك أن النظم الحضرية الحديثة يمكن أن تفهم بسهولة بالمقارنة مع التحليلات الدقيقة الميكانيكية للرغوة. وقد ظهرت فكرة الكرات من هذا الحدس.⁽³⁶⁾

والكرات هي مساحات التعايش spaces of coexistence، المساحات التي عادة ما تؤخذ على علاقتها بوصفها تخفي معلومات هامة لتطوير فهم الإنسان، وقد بدأ استكشاف هذه المجالات بالفارق الأساسي بين الثدييات والحيوانات الأخرى، والراحة البيولوجية والبيوتوبيا في رحم الأم، والتي حاول البشر إعادة خلقها من خلال العلم والفكر والدين. ومن هذه الكرات المجهرية microspheres العلاقات الأنطولوجية بين المشيمة والجنين، إلى الكرات الكبيرة macrospheres الرحم الكبير مثل الأمة أو الدولة،⁽³⁷⁾ ويحلل سلوترديك الكرات التي حاول البشر سكنها ولكنهم فشلوا، ويتقصى الروابط بين الأزومات الحيوية، مثل الفراغ والانفصال النرجسي والأزمات التي تنشأ عند تحطم الكرة. وهناك كرات صغيرة وكرات كبيرة، بعضها ينفجر على الفور، والبعض الآخر يستمر بعناد عبر الزمن. وتتناول الفقاعات المجالات الصغيرة التي تتشكل ما بين الأفراد، وتمثل فكرة "الكرات البينية الحميمية interfacial spheres of intimacy"، كما يدعوها سلوترديك⁽³⁸⁾ المفاهيم التي اقترحها الفلاسفة الحواريين واللاهوتيين، مثل مارتن بوبر أو إيمانويل ليفيناس. ويستبدل سلوترديك الذي يميل للتعبيرات البصرية والصوتية الرخيمة في الوقت ذاته مصطلح البيذاتية غير

³⁵ Ibid.

³⁶ Ibid.

³⁷ Willem Schinkel, Liesbeth Noordegraaf-Eelens In Medias Res Peter Sloterdijk's Spherological Poetics of Being. Amsterdam University Press, 2011, p 29,116

³⁸ Sloterdijk, Peter in Funke, Bettina. "Against Gravity: Bettina Funke talks with Peter Sloterdijk." Art forum, Feb/Mar, 2005. Internet source.

الغنائي intersubjectivity، الذي يوظف على نطاق واسع للدلالة على الذاتية المونولوجية الحدائية، بتعبير أكثر رخامة وهو تأثيرات البيوت البيئية التي تشكل الجنس البشري interfacial greenhouse effects that form the human species⁽³⁹⁾.

وتبدأ الثلاثية بجانب باطني، على افتراض أننا نفهم التعبير بشكل صحيح، ثم مع ما يقرب من 700 صفحة تزودنا الفقاعات بنظرية مفرطة عن الزوجين المقترنين pairs، وهي نظرية تقوم على مفارقة أساسية، ففي حين يعتقد الفكر اليومي بثبات أنه يعرف كل شيء عن الأزواج، وهي أنها نتيجة لإضافة واحد زائد واحد، وهذا يعني من الناحية البيوغرافية نتيجة اللقاء أو المواجهة أو التشابك، إلا أن سلوترديك يجري تجربة لإظهار إلى أي مدى تسبق كينونة الازدواج being-a-pair جميع اللقاءات. ففي تحليله للزوج، يرى سلوترديك أن رقم اثنين number two, or the dyad يظهر بوصفه رقمًا مطلقًا، الشكل ثنائي القطبية الخالص. وتبعًا لذلك، فإنه يأخذ دائمًا الأسبقية على الوجودين المفردتين اللتين يبدو أنهما "وضعتنا معًا"، ويمكن بسهولة إظهار ذلك في العلاقة بين الأم والطفل أو بين الجنين والمشيمة. وبذلك فإننا ندخل تخوم علم النفس الفلسفي المتطرف الذي ينحرف عن العقيدة العامة التي تمنح الأولوية للفردانية.

والباطني الحق لا يوجد في الكتب المعروضة للبيع في متجر في المطار، بل هو علم النفس العميق الذي يذكرنا بحالات ما قبل الفرد، وقبل الذاتية، وقبل الأيجو. وهذا يقرب سلوترديك من لاكان كثيرًا الذي تحدث في بعض الأحيان عن "الروحانيات الديمقراطية" democratic esotericism أي علم الأيزوتيريك أو علم الباطن الإنساني، من التحليل النفسي.⁽⁴⁰⁾ ويمكنك أن ترى ما المناطق التي اقتحمها سلوترديك في الفصول الفضائحية نسبيًا أو فصول أمراض النساء السلبية "negative gynecology" والوجود ما قبل الولادي في الرحم. (الفصول التي عدها القراء مروعة)

ويتضمن الجزء الثاني من المجلد، والذي يحمل عنوان Worlds,) Reiche، Globen، Kosmen (Globes, Empires) "الكون، والكرة الجغرافية، والإمبراطوريات" انتقادًا لـ "التغليفات الصلبة الثابتة" (stahlharte ehäuse) (steel-hard encasements)، بلغة ماكس فيبر، ويواصل سلوترديك، فيما يتعلق بهذه "التغليفات"، انتقاداته للشمولية، التي بدأت قبل بضع سنوات، وتوسيعها لتشمل كل تاريخ الحضارة المتقدمة لإثبات أن "الكرات الإمبراطورية" الثابتة هي محاولات خاطئة لإنتاج مجتمع على نطاق أوسع.

³⁹ Luca Di Blasi reads Peter Sloterdijk straight. Translation by Chris Thomas. Electronic book review. 1999. Internet source.

⁴⁰ Sloterdijk, Peter in Funke, Bettina. "Against Gravity: Bettina Funcke talks with Peter Sloterdijk." Art forum, Feb/Mar, 2005, Internet source.

وينظر إلى هذه المحاولات بوصفها إسقاط قدري أو مشؤوم، مشؤوم لأنه مندمج بالشمولية، لكرات عائلية صغيرة على الصعيد الاجتماعي. وتبعًا لذلك، فإن صعود الإنسانية في تشكيلات كروية كبيرة مرادف لـ "سقوط الرجل" خارج الجنة البينية في ما قبل التاريخ.

ويبحث هذا المجلد أيضًا في العواقب العامة والسياسية لهذه الافتراضات الأساسية؛ وبهذا المعنى، يمكن وصفه بأنه العنصر الظاهر الخارجي exoteric من المشروع، إنه يدرس فكرة أن الحضارات الأقدم قد تصورت العالم في المقام الأول على شكل دائرة، معززة بالروح spirit-infused circle، وحاول سلوترديك أن يبين في الكرة الجغرافية أو الكون Globes كيف أن الإغريق هم أول من صاغ الكون في شكل هندسي، ثم بعد ذلك أعاد فلاسفة الأفلاطونية الجديدة صياغة الإله في شكل هندسي والتي يقول سلوترديك إنها منحتة الشعور بإعادة فتح واحدة من أكثر الفصول إثارة في تاريخ الأفكار. والنتيجة هي الخروج بتاريخ فلسفي للعلومة فأولاً: كان الكون معلومًا globalized كرويًا بمساعدة الهندسة، ثم كانت الأرض معلومة globalized كروية بمساعدة رأس المال.⁽⁴¹⁾

ونجد في مركز المجلد الثالث الذي يحمل عنوان الـ "رغوة" (Foam) (Schaum)، النظرية المناعية للهندسة المعمارية، لأن سلوترديك يعتقد أن البيوت هي أنظمة مناعة مشيدة، لذلك فإنه يقدم تفسيرًا للموطن الحديث modern habitat من ناحية، ومن ناحية أخرى يعطي وجهة نظر جديدة للحاوية الجماهيرية mass container. وعندما يسلب الضوء على الشقة apartment (الإستاد) الرياضي بوصفها أهم الابتكارات المعمارية في الحداثة، فذلك لأنها ليست خارج الفن أو بعيدًا عن الاهتمام الثقافي التاريخي، فهو يهدف بدلاً من ذلك إلى تقديم تناول جديد لتاريخ الأجواء atmospheres، ومن وجهة نظره، فإن الشقة والملعب الرياضي هامة في المقام الأول بوصفها منشآت في الغلاف الجوي atmospheric installations فضلاً عن أنها تلعب دورًا محوريًا في تطوير الوفرة، التي حددت سر الحداثة المفتوح، ويعتقد سلوترديك أن الثناء على الترف الذي ينتهي به الكتاب هو أمر حاسم لتشخيص الحاضر.

وبالنسبة لسلوترديك، فإن العالم المعاصر أصبح فقاعة ورغوة، أو سلسلة من المونادات monads أي الكائنات الأولية وحيدة الخلية، الاستهلاكية المقطوعة عن بعضها، والتي تخترع باستمرار استجابات جديدة، ولحظات حاسمة لا تجعلنا نتخذ قرارًا، بل إنها تجعلنا في مأمن من العديد من أشكال التفاهم المشترك والازدهار الإنساني. وعلى الرغم من أن هذه الرؤية قاتمة جدًا إلا أن الفكرة هي أن المكان والزمان لم يعودا

⁴¹ Sloterdijk, Peter in Funke, Bettina. "Against Gravity: Bettina Funcke talks with Peter Sloterdijk." Art forum, Feb/Mar, 2005, Internet source.

يغلفان كائنات الاستهلاك بوصفهما عناصر متكاملة في توليد كتلة الاستهلاك الفردي التي تدور حول أكثر من سلعة بسيطة، فالكائن ليس إلا جزءاً من مجموعة أكبر، هي العالم الذي ربما يكون من الأفضل أن يفهم بوصفه الفضاء المكان المعزز الذي يسمح سيميائياً بازدهار العلاقات بين الأفراد. عالم مرتو بالإشارات المرسلّة والمقروءة لأن كل كوة niche بيئية هي كوة سيميائية، فلم يعد المكان والزمان شيء خارجي ولكنه لحظة أساسية في تصميم هذه العوالم التي لا تعد ولا تحصى ومعززة سيميائياً. وهذا يتطلب غلافًا يكرر نفسه ويمكنه أن ينقل الإحساس بالقدر ذاته الذي ينقل فيه المعلومات. فالمكان الثاني أعمق من كل من ما جاء قبله في أنه مثل بكل أنواع الإشارات وأكثر سطحية منه في أنه يعتمد على السيطرة المركزية للإحساس والمعلومات التي تنتقلها. ولكن ما هو واضح هو أن الهدف جعل هذه الأماكن أكثر استجابة، فضاءات من التفكير من نوع ما؛ أي أنها آلات سيميائية تعد عناصر حاسمة لنظام عالمي جديد النمذجة. وأعتقد أنه يمكن القول إن طرق البحث تتناسب على نحو متزايد مع ضرورة توليد هذه العوالم، فهي تشكل عنصرًا أساسياً في خلق عالم يقوم على أساس منطق فردي جماهيري mass individual logic على الرغم من التناقضات الواضحة في المصطلح.⁽⁴²⁾ وبالتالي، فإنها، أي طرق البحث، تحمل علامات متزايدة على التعايش المكاني بين البشر worlding الذي يسود الآن.

وبوصفه قد صدر في مرحلة ما بعد الألفية الثالثة، فانه يمكننا أن نفترض أن هذا الجزء لن يقدم شيئاً أقل من ما بعد الحداثة، أو حتى في خطة ما بعد الثقافية العالية، والتي يحاول سلوترديك أن يظهر كيف أن الكرات الصغيرة والكبيرة تتجمع معاً لتشكيل كلاً تعددياً غير قمعي. وإن تعبير الـ "رغوة" يبدو وكأنه يمنح استعارة ليوتارد الشهيرة "الأرخبيل" بعداً ثالثاً، في الرغوة، نحن كائنات من كرات sphere-forming beings يمكن أن تطفو وتتدفق مع وفوق وعبر بعضها، دون أن تطغى على بعضها أو تسمح لأحد أن يطغى عليها.⁽⁴³⁾

وفي حين أننا لا نريد لهذه الفقاعات الفردوسية من الرغوة أن تنفجر بسرعة كبيرة، إلا أننا نقول إن استعارة سلوترديك للـ "رغوة"، تماماً مثل استعارة ليوتارد لـ "الأرخبيل"، ينطوي على أفضل فرصة مواتية يمكن من خلالها وضع مجمل التعدديات على مسرح العرض. وبتجانس يشبه تجانس استعارات تفضيل ما بعد الحداثة للتعددية، فإن هذه الاستعارات تكشف عن أن العقل قد تخلى عن مهمة تجاوز جميع الكرات، وفضل بدلاً من ذلك أن يأخذ منظور عين الطائر أبعد من الرغوة، وبالتأكيد فإن فكر سلوترديك فكر معاصر جداً. وهذا

⁴² Thrift, N.J. RE-ANIMATING THE PLACE OF THOUGHT: Transformations of Spatial and Temporal Description in the Twenty-First Century. University of Warwick., p:18

⁴³ Luca Di Blasi reads Peter Sloterdijk straight. Translation by Chris Thomas. Electronic book review. 1999. Internet source.

ينطبق أيضًا على محتوى مجلد الكرات: الفقاعات. وعلى الرغم من حقيقة أنه يحمل إمكانات كبيرة بالفعل لغضب أشباه المتعلمين المعاصرين، إلا أن سلوترديك يحشر نفسه بشجاعة في الكرات الكاثوليكية الحميمية الخفية التي تفادها اللاهوتيون أنفسهم حين عادوا مع تقارير غريبة لسير القديسين في "فقد القلب" و"تجديد القلب"، وعلى طريقته الفذة، جعلهم يتحدثون. وينطبق هذا على انغماسه في تفاصيل تبدو غير مهمة حين يتناول اللوحات المقدسة في الفصل الثاني المعنون بـ"بين الوجوه" Between Faces.. وهنا، يجد المرء لآلى من الفكر الذي يمتلك تأثيرًا إرشاديًا كبيرًا، ويبدو سلوترديك غير مبال بما قد تسببه مقالاته من توبيخ أو لوم علمي، حيث تستمر جولة الكرات عبر العوالم الصغيرة والخفية للتنويم المغناطيسي، والتخاطر، و"فضاء الروح المشتركة: الملاك المزدوج" (الفصل السادس)، ويتوج بتفسير دقيق لبعض هواجس أوغسطين الخفية (الفصل التاسع). إن المسح غير المبالي لتاريخ الحضارة بأسرها، حتى في الوقت الذي تتجلى فيه بأكثر خطوط التقاليد غموضًا، وبالرغم من كل الاعتراضات الممكنة، يمثل ميزة لما بعد الحداثة على الحداثة الخاصة التي تميزت وتقيدت بالعلموية.

ويمتد الرأي إلى أبعد من حدود الأفق الحداثي، التي أصبحت تقليدية، وبالتالي يكتشف كنوز التقاليد التي لا تزال خفية حتى الآن. وليس هناك قوة يمكن ألا تتحول إلى ضعف. فعدم اكرات سلوترديك بانتقادات زملائه ربما جعله مبتهجًا، وحاجته المتنامية للإبداع والأصالة كفيلة بالعناية بما تبقى. ولهذا فإنه يتمادى في الفصل الخامس مثلاً بحيث إنه يطلق التصريحات التي هي في الواقع مناسبة لتشويه سمعة الكتاب في عيون معظم النقاد. ففي هذا الفصل الخامس، وجد مقتنصي الأخطاء من النقاد الألمان غايتهم ليختزلوا الكتاب بأكمله إلى ما يزيد قليلاً على مضمون هذا الفصل. وبميله الخاص والمميز للتخلص من السرديات الأسطورية والدينية الكبيرة من خلال علمنتها، يسعى سلوترديك إلى إيجاد المعادل المادي لحدس الكمال الإنساني الأصيل، والموجود في كثير من الثقافات، كما يعبر عنه في عديد من التكهانات حول الإنسان البدئي. في هذه العملية تطرق إلى المشيمة التي تغذي الجنين وتربطه بالأم عبر الحبل السري. ولا يمكن للمشيمة في الواقع أن تكون جهازًا خالصًا لا للأم أو للطفل. والمشيمة بالنسبة لسلوترديك تقدم أدلة على فقد الكمال الإنساني الذي تشكل في بداياته بطريقة ثنائية، ووفقًا لأريستوفانيس، فإن الإنسان، في طروحات أفلاطون، هو النصف المشوه لكائن دائري الشكل والذي كان هو الكل. ويرى سلوترديك، أن الإنسان يتألف في الأصل من جزئين وأن الظاهر لنا هو نتيجة فصل الشيء عن الإنسان، ويوظف سلوترديك مصطلح Mit (With) (مع) لتعيين هذه الحالة التي يصعب وصفها بسبب أصلها ما قبل اللغوي، فالجنين ومشيمته يرتبطان ببعضهما مثل أورفيوس ويورديدس. واضطر كل أورفيوس لمغادرة يورديدس الخاص به، ومنح الأخير، عند الانفصال، الأول مسافة "بحث تكون البدائل ممكنة." مسافة شاغرة

بحيث أن الـ "رفيق الأولي" الذي تركه المرء وراءه يصبح نقطة انطلاق لبحث متجدد باستمرار عن رفقة جديدة وكرات بديلة جديدة.

أما المشيمة يورديس، فإنها تترك السرة، الأثر الجسدي الذي يشير إلى ثنائيتنا القطبية الأصلية، لنصف الإنسان الذي يشبه أورفيوس. ويرى سلوترديك أن مشكلة التاريخ الإنساني تبدأ مع إقصاء excommunication هذا الرفيق الأولي، إذ بدلاً من تكريمها مثل نصف الإنسان المفقود، فإن مصير المشيمة هو استغلالها في مستحضرات التجميل أو تحويله إلى حبيبات تسرع عملية الاحتراق في محارق النفايات. ووفقاً لسلوترديك، فإن "تحالف الصمت السلس" الذي تشكل يهدف إلى جعل البشر ينسون رفيقهم الأصلي، المشيمة، والحكم عليهم "بفقد كونهم معاً absence of togetherness" (Mitlosigkeit)⁽⁴⁴⁾. عند هذه النقطة، وبعد تتبع قطار سلوترديك الفكري، تدخل الفردانية الحديثة مرحلتها الساخنة، فـ "محاكم التفتيش النسائية" هي التي أوجدت الإنسان الحدائي الوحيد، وقد سهلت هذه الحالة بدورها تشكيل الدول الاستبدادية، "ولادة الشمولية من روح القبالة؟ لا يستطيع قراء الفصل الخامس مقاومة شعور أنهم قد وقعوا في مصيدة رجل غريب الأطوار، ولكن لمشكلة ليست هنا وإنما في طبيعة أسلوب سلوترديك. فبصفته لا أدرياً متشككاً agnostic، يوقظ سلوترديك تصورات أو "sonospheres"، وي طرح من خلالها نفسه autopoietically. وفي غياب القدرات البيذاتية التي يمكن أن تحميه من التطرف، فإنه يتمادى بسهولة في هذه العملية⁽⁴⁵⁾.

وبدلاً من ذلك هناك سؤال آخر وهو الأهم، لأنه يقوض الاهتمام الرئيسي من الثلاثية كلها، وتربط أطروحة سلوترديك الأساسية نفسها بجوانب الانتقادات المجتمعية لليبرالية. فمع أطروحته عن النشوء الكروي المزدوج في الأصل، يدحض سلوترديك المفهوم الذري atomistic conception للشخص "المدرسة الذرية التي ترى أن العناصر مكونة من جزيئات صغيرة غير قابلة للانقسام". ويعتقد أن هذا المفهوم خيال مهيمن واقعياً لأننا بلا حدود وذات حكم مطلق، ولشخص "يلاحظ ويسمي ويمتلك كل شيء، دون أن يسمح لأحد أو لأي شيء باحتوائه، أو امتلاكه، أو تعينه"⁽⁴⁶⁾.

ويتأثر سلوترديك بعمق بالتمكين الذاتي المنتشوي للإنسان من خلال التأكيد على فكرة أن "الله قد مات"، أخذ هابرماس بهذا القول قبل خمسة عشر عاماً، كما يتأثر بأفكار فيتشه الفعالية عن المنشأ. وتتوافق هذه

⁴⁴ Luca Di Blasi reads Peter Sloterdijk straight. Translation by Chris Thomas. Electronic book review. 1999. Internet source.

⁴⁵ Ibid.

⁴⁶ Ibid.

الصيغة الحيوية والتأكيديّة الإيجابية من الفكر مع الفردانية الحديثة والقومية والإمبريالية العالية، ولكنها لا تتوافق مع تجاوزها، ولا يبدو التوتر الناتج عن التقاطب بين التمكين الذاتي والتصوف الغامض المتجدد الذي حفز مشروع سلوترديك بأكمله، خارج المكان حين يحاول سلوترديك أن يكون "Dia-agnostic(-ian)" (Gnostiker)⁽⁴⁷⁾. وفي الفقاغات، حيث يعتزم سلوترديك تحديد الاتجاه، يظهر هذا التوتر في طريقه، بوصفه خادمًا لسيد، يضطر إلى أن يشير إلى اتجاهين متعارضين.

ويرى بعض النقاد أن سلوترديك لم يقدم في الجزء الثالث سوى مصطلحات جديدة للنظرية النقدية نسيقها تاريخياً، وتعيين حدود مصطلحات مدرسة فرانكفورت، عدا عن النقد بعيد المدى للاستقبال المعاصر لميراث النظرية النقدية خلال الكتاب. وينتقد سلوترديك، على وجه الخصوص، ما يرى أنه تفسير مضلل لهذا التقليد من قبل الأكاديمية الأمريكية، مما يؤدي إلى تكرار التاريخ المفاهيمي conceptual history وموضعة مصطلحات، مثل الثورة والمجتمع تاريخياً. ويلخص سلوترديك مكونات هذا النقد ويشرح لماذا يعتقد أننا بحاجة إلى اختراع مفردات جديدة تماماً بقوله: لأن المصطلحات والمفردات القديمة أصبحت عديمة الجدوى لأن كل اللغات الطبيعية القديمة، بما فيها الخطابات النظرية، طوّرت لتناسب عالم المواد الصلبة والثقيلة، وتبعاً لذلك فإنها لا تستطيع التعبير عن خبرات عالم الضوء والعلاقات. وهكذا فإنها غير مناسبة لرسم الخبرات الأساسية للحدثة وما بعدها، التي ركبت العالم بالاستناد إلى التعبئة وتخفيف الأعباء. هذا بالفعل يسمح لسلوترديك أن يشرح لماذا، في رأيه، أن النظرية النقدية ومدرسة فرانكفورت قد عفا عليها الزمن، ويجب أن يحل محلها خطاب مختلف تماماً يقول إن: المنظرين النقديين وبسبب تراثهم الماركسي، قد استسلموا للإغراء الواقعي في تفسير الرقة والخفة بوصفها مظهرًا والكثافة والثقل بوصفه جوهرًا. ولذلك فإنهم يمارسون النقد بالأسلوب القديم حين "يفضحون" خفة المظهر باسم كثافة الحقيقة أو الجوهر، وإنه بسبب حدوث الوفرة abundance في الحدثة تحول الجوهر إلى مظهر، وسكن "الجوهر" في الزبد، وفي الهواء، وفي الغلاف الجوي. وحين نفهم هذا، فإن حالة "النقد" تتغير كثيرًا، يقول ماركس إن كل نقد يبدأ من نقد الدين، ولكن سلوترديك يقول إن كل نقد يبدأ بنقد الجاذبية gravity.

وبالإضافة إلى ذلك، فإننا نعترف بأن "النظرية النقدية" لم تنجح في رحلتها عبر الأطلسي، فالنظرية النقدية الأصلية كانت "في الوطن" نوعًا من اللاهوت السري، إنها تعالج الإخفاقات في الخلق أو المجتمع،

⁴⁷ Ibid.

وتنتقد الواقع باسم المطلق غير المسمى. وكان هذا النهج رمزاً ببراعة بحيث إن علماء الاجتماع ونقاد الأدب الأمريكيين قالوا بلا منازع أنهم كانوا يقرأون دعوة لمجتمع متعدد الثقافات.⁽⁴⁸⁾

ويوظف سلوترديك الصور، الأمر الذي يعد غريباً في الكتب الفلسفية، بطريقة تذكرنا بمعاصريه الألمان مثل ألكسندر كلوج، وكلاوس ثاوليت، وسيبالد. ويوظف سلوترديك الصور ليس للتوضيح وإنما بوصفها سرديات موازية. ويمكن للمرء أن ينظر إلى مشروع أروقة والتر بنيامين Arcades Project بوصفه نموذجاً تاريخياً يشتمل كذلك على قسم يعتمد على توظيف واسع النطاق للصور. أما قضية الرجوع إلى مشروع الممرات، فإنه يفرض نفسه، لأن هذا الكتاب أيضاً فحص المساحات والأجواء التي أشارت للحظة المعاصرة، حيث يبدو أن اختبار سلوترديك للإستاد وشقة المنزل في القرن العشرين تكمل دراسات بنيامين عن المفهوم المكاني والأروقة الناشئ في عصر الحداثة. ويرى سلوترديك إدراج الصور في تدفق النص هو إجابته على تحول الوعي المكاني في النظرية الحديثة.⁽⁴⁹⁾

وبتناول الأمر بمصطلحات تاريخ الميديا، فهو لم يعد يكتب النثر الفلسفي على صفحة الكتاب، ولكن على صفحة شاشة a monitor page⁽⁵⁰⁾، وهذا هو الفضاء الهايبرتكستي، ففضاء الشاشة يقترب تماماً من فضاء العرض الحديث، نوع من المكعب الأبيض الإلكتروني. إذ إنك عندما تعمل هناك، فمن المنطقي أن تتخيل نصاً ثانياً أو ثالثاً "بجوار" النص اللفظي، وهذا هو بالضبط ما يفعله الكتاب الذين يعملون مع الموازي البصري للسرديات. فالإشارة إلى والتر بنيامين كانت ضرورية جداً في هذا السياق، إلا أن علاقة سلوترديك ببنيامين ليست بهذه البساطة. فنجد، من ناحية، أن مشروع بنيامين صالح تماماً لأن يكون نموذجاً لنظرية الثقافة الآنية، لأنها تتوقع بالفعل كل شيء من الممكن أن يكون مهماً لاحقاً: الشغف بالأرشفيف، ودراسة التفاصيل الدقيقة، ونظرية وسائل الإعلام، وتحليل الخطاب، والبحث عن وجهة نظر سيادية يمكن للمرء من خلالها فهم الشمولية الرأسمالية. ومن ناحية أخرى نجد أن سلوترديك مقتنع بأن عمل بنيامين قد وصل إلى طريق مسدود وأنه فشل منظرًا. لذلك فإنه قد تفرغ لنقده في كتاب يحمل عنوان "في داخل الفضاء الداخلي للرأسمالية العالمية: نحو نظرية فلسفية للعولمة" الصادر عام 2005. ويتهم سلوترديك ببنيامين بعدم الفهم، وبالتالي فهو يتبع بنصف فهم أفكاره الرائعة حول إنشاء عوالم داخلية جديدة عبر الرأسمالية، بل الأسوأ بالنسبة إليه هو حقيقة أنه وضع نمطاً معمارياً للأروقة عتيقة الطراز من الناحية التاريخية، في مركز تحليله على الرغم من أنه في أيامه لم يكن

⁴⁸ Sloterdijk, Peter in Funke, Bettina. "Against Gravity: Bettina Funcke talks with Peter Sloterdijk." Art forum, Feb/Mar, 2005, Internet source.

⁴⁹ Ibid.

⁵⁰ Ibid.

بالإمكان تجاهل أن العمارة الرأسمالية الداخلية قد تجاوزت ومنذ فترة طويلة مرحلة الرواق؛ أي الممرات المقوسة. فالملاعب الرياضية، ومراكز المؤتمرات والفنادق الكبيرة، والمنتجعات كانت جديرة باهتمام بنيامين. وتستند فكرة من يريد كتابة "تاريخ اور ur-history في القرن التاسع عشر إلى فهم خاطئ، وهكذا يقترح سلوترديك دراسة الرأسمالية الداخلية بمصطلحاتها الخاصة ذات الصلة، مما يؤدي، بالتالي، إلى نظرية الرغوة. وما نحتاج إليه اليوم، حسب سلوترديك، هو "مشروع تكييف الهواء air-conditioning project" للكيانات الاجتماعية الكبيرة أو "مشروع بيوت محمية greenhouse project"⁽⁵¹⁾.

ويعتقد سلوترديك أن المجلد لثالث من الكرات يقدم بالفعل بداية لما أطلق "عليه معالجة ما بعد بنيامين للإبداعات المكانية الجمعية في الحداثة وما بعد الحداثة". وينتقد سلوترديك نهجًا آخر يمكن أن يوصف بأنه "ما بعد بنيامين" ويحمل عنوان "إمبراطورية" لأنطونيو نيغري ومايكل هارت (2001)، لأنه يستند على مصطلح التعدد multitude، ولكنه يرى أن نيغري وهارت قد نجحا في إشباع الرغبة الحالية نحو الراديكالية (a novum organum)، وهو إنجاز يستحق الإعجاب من وجهة نظره.⁽⁵²⁾ وفي الوقت نفسه يرجع سلوترديك النجاح العظيم لهذا الكتاب لنغماته الدينية المحتجة برقة، فلن نتعرف للوهلة الأولى بسهولة على الراديكالية اليسارية القديمة الطيبة عندما يأخذ القديس فرنسيس مكانه إلى جوار ماركس ودولوز، لكن هذا التحالف الجديد مع القديسين مفيد لموقف الراديكالية اليسارية في حالة ما بعد الماركسية. واليوم، فإن كل من يريد ممارسة معارضة جوهرية يحتاج إلى حلفاء ليسوا من هذا العالم، ومن أجل فهم الوضع الحرج للراديكالية اليسارية، ينبغي للمرء أن يتذكر نظرية "تقليل التباين المعرفي" "Cognitive Dissonance" لليون فستينجر⁽⁵³⁾. وبحسب فيستنجر، فإن الإيديولوجيات التي لا تتوافق مع الظروف يتم إعادة تفسيرها من قبل المؤمنين بها، حتى يبدو أنها تليق بهم أو تتوافق معهم مرة أخرى، وكانت النتيجة التي لا يمكن تجنبها أن النظريات بدت غريبة على نحو متزايد.

وتوضح جيرشوم شوليم شيئاً مماثلاً في ما يتعلق بمصير الديانة اليهودية. وجوهر ما يقوله شوليم هو هذا: عندما تفشل النبوة prophetism، تنتصر الأخروية apocalypticism، وعندما تفشل الأخروية، تبرز

⁵¹ Ibid.

⁵² Ibid.

⁵³ تنطلق نظرية التباين أو التناظر المعرفي هذه النظرية أتى بها ليون فستينجر 1962، من فكرة أن الإنسان كيان نفسي يسعى دائماً إلى انسجام مواقفه وآرائه والمواضيع التي يتلقاها مع شخصيته وبنيتة النفسية، فنظرية التناظر المعرفي ترمي إلى كون الإنسان يتعارض ويقاوم كل شيء يتعارض وبناءه المعرفي، وتتركز هذه النظرية على أن الفرد يحاول بذل مجهود من أجل الحفاظ على توازنه النفسي من خلال جعل هذه العناصر أكثر توافقاً، فالتناظر هو حالة من حالات الدافعية بحيث تدفع الفرد إلى تغيير سلوكياته وآرائه، فوفقاً لصاحب النظرية فإن هناك ثلاثة أنواع من العلاقات بين عناصر معرفتنا.

الغنوصية أو المعرفة الروحية gnosis⁽⁵⁴⁾. ويمكن ملاحظة تصعيد مماثل في حركات المعارضة السياسية منذ العام 1789، عندما فشلت الثورة البرجوازية أو كانت غير كافية، بزغ اليسار الراديكالي، وعندما فشل اليسار الراديكالي أو كان غير كاف، ظهر سحر التظاهر. ويبدو أن نيغري، من وجهة نظر سلوترديك، قد وصل في هذه النقطة بالضبط، فهو يدعو في "تعدده" إلى مجموعة غاضبة من القديسين تحرق المعارضة الخالصة بنيرانها، إلا أنه لم يقدم مشروعاً ثورياً، وبدلاً من ذلك نجده قد استشهد بمجرد وجود معارضة عالمية للرأسمالية العالمية. لذلك لا يمكن القول ببساطة إن إطار نيغري قد فشل، بل لقد ثبت فشله بالفعل. وربما يكون الادعاء بأن الثورة السياسية تتحول إلى مُعلمٍ روحي أكثر دقة. هذا هو الثمن الذي يتعين دفعه من قبل أي شخص يحاول بجدية تطوير لغات اليسار أبعد من مجرد الاستياء، وفقاً لسلوترديك.⁽⁵⁵⁾

⁵⁴ Sloterdijk, Peter in Funke, Bettina. "Against Gravity: Bettina Funcke talks with Peter Sloterdijk." Art forum, Feb/Mar, 2005, Internet source.

⁵⁵ Ibid.

مراجع الدراسة:

- 1- Blasi L.D. **reads Peter Sloterdijk straight**. Translation by Chris Thomas. Electronic book review. Internet source. 1999
- 2- Book Description for “Neither Sun Nor Death”, MIT Press, 2011
- 3- Lazzarato M. “**From capital-labour to capital-life**” Ephemera,4. 2004
- 4- Mulvey L. “**Death 24X a Second**”. London, Reaktion, 2005
- 5- Rules for the Human Zoo “**A Response to the Letter on Humanism**” Environment and Planning D: Society and Space 27, no. 1 ,2009
- 6- Sloterdijk P. “**Critique of Cynical Reason**” Minneapolis: University of Minnesota Press, 1987
- 7- Sloterdijk P. “**Spheres Theory: Talking to Myself about the Poetics of Space.**” Harvard Design Magazine, Spring–Summer, 2009
- 8- Sloterdijk, P. in Funke, Bettina. “**Against Gravity: Bettina Funcke talks with Peter Sloterdijk.**” Art forum, Feb/Mar, 2005.Internet source.
- 9- Thrift N.J. “**Re-animating the place of thought: Transformations of Spatial and Temporal Description in the Twenty-First Century**”. University of Warwick.
- 10- WallC.S. “**The Prose of Things. Transformations of Description in the Eighteenth Century**”. Chicago, University of Chicago Press. 2006
- 11- Schinkel W.& Noordegraaf-Eelens L. “**In Medias Res Peter Sloterdijk's Spherological Poetics of Being**”. Amsterdam University Press. 2011



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com